ISSN : 2335-1071 ردمد:

مخبر الخطاب الحجاجي
أصوله ومرجعياته وآفاقه في الجزائر
جامعة ابن خلدون -تيارت

فصل الخطاب

ملف العدد:

الشعرية و تلاشي وثوقية التصنيف الأجناسي
جهود الباقلاني في الكشف عن مظاهر انسجام الخطاب القصصي القرآني
حوارية البلاغة بين التخييل و الإقناع لدى حازم القرطاجني
النفي البلاغي في القرآن الكريم
التمثيل الحجاجي للكناية والتعريض في القرآن الكريم

ديسمبر 2016

العدد 16
المجلد الرابع

دورية أكاديمية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث
العلمية والنقدية واللغوية والأدبية والبلاغية
باللغتين العربية والأجنبية

فصل الخطاب
العدد السادس عشر
ديسمبر 2016 Décembre
Revue n°16
Faslo El-Khitab

ISSN: 2335-1071

Laboratoire du discours argumentatif
ses origines, ses références ses perspective en Algérie
Université Ibn-Khaldoun-Tiaret

Faslo El-Khitab

(Art d'Argumenter)

Décembre 2016

Revue périodique a vocation scientifique, traitant des domaines de la critique littéraire, la languistique et la rhétorique en langues arabe et étranger

Revue N 16
Volume 04

فصل الخطاب

دورية أكاديمية محكمة يصدرها مخبر الخطاب الحجاجي أصوله ومرجعياته وأفاقه في الجزائر
تعنى بالدراسات والبحوث العلمية النقدية واللغوية والأدبية والبلاغية باللغتين العربية والفرنسية

العدد السادس عشر

ديسمبر 2016

ردمد ISSN 2335-1071

رقم الإيداع القانوني 1759 - 2012

جامعة ابن خلدون – تيارت
الجزائر

توجه المراسلات إلى إدارة المخبر أو المجلة
ص.ب. 78 زعرورة _ تيارت 14000 _ الجزائر
أو عبر: faslkhitab@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قواعد النشر بالمجلة

1. تهتم المجلة بنشر كل الأبحاث التي تعالج قضايا في حقل الحجاج والنقد الأدبي والبلاغتين القديمة والجديدة وما يدور في حقل اللغويات وله علاقة بهذه المواضيع . كما يمكن أن تنشر المجلة نقدا متخصصا أو مراجعة أو ترجمة لأحدث المدونات العلمية الصادرة باللغة العربية أو اللسان الأعجمي.

2. لغة النشر عربية، فرنسية، إنجليزية، على أن يصحب البحث بملخصين مجتمعين في صفحة، أحدهما باللغة العربية والآخر إما باللغة الفرنسية أو الإنجليزية.

3. ألا يكون المقال قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي إصدار آخر .

4. يقدم المقال المكتوب بالعربية بخط **(Traditional Arabic)** قياس 14 في المتن و11 في الهامش، أما المكتوب بالأجنبية بخط **Times New Roman** قياس 12 في المتن و10 في الهامش وكلاهما بمسافة 1 سم بين الأسطر وهوامش 4 سم (من الجهات أربع)، وألا يتجاوز البحث عشرين (20) صفحة بما في ذلك الإحالات، التي يشترط أن تكون إلكترونية، أما الجداول والترسيمات والأشكال فتكون صورا **IMAGE** .

5. بعد موافقة اللجنة الاستشارية المؤهلة للخبرة العلمية على الأعمال والبحوث، تعرض على محكمين اثنين من ذوي الاختصاص يتم اختيارهما بسرية مطلقة. وتحتفظ المجلة بحقها في أن تطلب من صاحب المقال التعديل بما يتناسب ووجهة نظرها في النشر .

6. لا تعبر البحوث المنشورة بالضرورة عن رأي المخبر، والمجلة غير مسؤولة عما ينتج عن أي بحث، والدراسات والبحوث التي ترِد المجلة لا تُردّ إلى لأصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.

7. ترتيب المقالات في المجلة يخضع للتصفيف الفني وليس لاعتبارات أخرى كمكانة الكاتب أو شهرته أو غير ذلك.

رئيس المجلة

أ.د. مدربل خلادي

مدير جامعة ابن خلدون ـ تيارت

المدير المسؤول عن النشر

أ.د. زروقي عبد القادر

مدير مخبر الخطاب الحجاجي

رئيس التحرير : أ.د. بوزيان أحمد

هيئة التحرير

د. داود امحمد

د. سبع بلمرسلي

د. درويش أحمد

د. بوعرعارة محمد

د. غربي بكاي

د. قوتال فضيلة

د. كراش بخولة

د. بن فريحة جيلالي

د.معازيز بوبكر

د.عزوز الميلود

الهيئة العلمية الاستشارية

أ.د. بوهادي عابد ـ جامعة تيارت

أ.د. فيدوح عبد القادر ـ البحرين

أ.د. مرتاض عبد الجليل ـ جامعة تلمسان

أ.د. خلف الجردات ـ المملكة الأردنية

أ.د. العشي عبد الله ـ جامعة باتنة

أ.د. بوحسن أحمد ـ المغرب

أ.د. حسن نعمي ـ المملكة العربية السعودية

أ.د. عباس محمد ـ جامعة تلمسان

أ.د. بشير بويجرة محمد ـ جامعة وهران

أ.د. آمنة بلعلى ـ جامعة تيزي وزو

أ.د. توفيق بن عامر ـ تونس

أ.د. سطمبول الناصر ـ جامعة وهران

أ.د. حسن البنداري ـ عين شمس ـ القاهرة

أ.د. خميسي حميدي ـ جامعة الجزائر

أ.د. دراوش مصطفى ـ جامعة تيزي وزو

أ.د. كواري مبروك ـ جامعة بشار

الفهـــــــرس

كلمة رئيس التحرير.....05
-الشعرية وتلاشي وثوقية التصنيف الأجناسي،
تشظّي الأصل الجامع وتكوثر التشجير المفارق(سطمبول ناصر).....07
- جهود الباقلاني في الكشف عن مظاهر
انسجام الخطاب القصصي القرآني(بن يمينة رشيد).....25
- الانفصال في العربيّة، "الضّمير أُنموذجًا"(نافع سلمان جاسم).....41
- حوارية البلاغة بين التخييل والإقناع لدى حازم القرطاجني(آيت حمدوش فريدة).....63
- مفهوم النظم عند المعتزلة،
الملامح الفكرية لرؤية المعتزلة للإعجاز في الخطاب القرآني(دحماني شيخ).....71
- منهج دراسة المجاز في القرآن الكريم. بين فكر البلاغيين والأصوليين(طويل مصطفى)..... 89
- التمثيل الحجاجي للكناية والتعريض في القرآن الكريم(بختي العياشي).....105
- النفي البلاغي في القرآن الكريم(ميسومي نور الهدى).....123
- الحجاج في الخطاب النقدي الدرامي التلفزيوني:
الإشكاليات والرهانات(القحطاني فيصل محسن).....143
- تعليمية النص الحجاجي في المرحلة الثانوية
الأسس النظرية والإجراءات التطبيقية (حاج هني محمد/ روقاب جميلة).....159
- الأداء الصوتي وأثره في تلقين رسالة الخطاب القرآني(حيمور إسماعيل).....173
- الملامح التّداولية لأسلوب التّأكيد في التّراث النّحوي العربي
مقاربة سيّاقيّة من خلال نظرية الأفعال الكلاميّة(بومسحة العربي).....189
- المرجعيات ودورها في تشكيل المصطلح بين مدّ التّراث وجزر الحداثة(شادلي عمر).....201
- علم اجتماع الأدب، فروعه ومناهجه(أحمد الحاج أنيسة).....221
- بلاغة السرد في قصيدة النثر، أدونيس أنموذجا(حميدي شريفة).....235
- دلالة الرمز الصوفي في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر(زرارقة الوكال).....243
- الشعر العربي بين رؤيا المقاربة والمفارقة في النقد(يعقوبي قداوية).....253
- سؤال الهوية في الخطاب الديني في رواية "قليل من العيب يكفي"(بوشيبة عبد السلام).....269
- حضور الخطاب الايديولوجي في الرواية الجزائرية "الوساوس الغريبة"(بوشاقور مليكة).....279
- التراث والنص الروائي العربي(العرابي محمد).....291
- انفتاحيه بنية النص اللغوية، في رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه"(مسك خيرة).....299
- لغة الاختصاص بين الغموض الدلالي وتحديات الترجمة(بختو عبد الحميد).....315

كلمة رئيس التحرير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أما قبل .....

مع طموح متفلت من رقابة الواقع والمحيط، يتجاوز العراقيل والمثبطات، وإرادة تعبد الطريق وتذلل الصعاب، وطاقم أغلبه شباب متطلع لرؤية أفضل، تشرئب روحه إلى المعرفة في أقصى مداها، وفي مختلف مناحيها، قد يهون عليه ركام المعوقات والتعب وتردي ما صارت إليه الجامعة، وهو الذي عايش أوج عنفوانها ومع كل ذلك فيستنهض الأمل من جديد ويشحذ الروح والهمة معا، فتولد طاقة أخرى ترمم ما انصدع، وتوصل ما انقطع في حيوية متوشحة بالجسارة الروحية، والتحدي المتسم بالوقار.

وذلك ما يلاحظه الرائي المتأمل أو المتعجل من أسراب الطلبة والطالبات وهي تفد على قاعات مخبر الخطاب الحجاجي والمورد العذب كثير القصاد كما قال الشاعر قديما، وهو ما يزيد الثقة بالنفس، ويزرع الثقة والقبول، ثم احتساب كل ذلك عند الله تعالى .

وذلك ما دأبت عليه نخبة هذا المخبر، من خفض الجناح، أو التقرب إلى طلبة الدكتوراه أو الماستر أو حتى الليسانس، مما رغب هؤلاء الطلبة إلى الاندماج فرادى ومجموعات في هذا المخبر إما بالاستشارة أو اقتناء الكتب، فترى القاعة الكبرى كحديقة غناء وقد فاح أريجها، وباح عبقها. فتستقطب الفراشات والنحل، إما للاستجمام أو لصنع العسل، وذلك هو شأن مجلة فصل الخطاب، لسان حال مخبر الخطاب الحجاجي، في استقطابها للدراسات الجادة والواعدة في شتى أصناف المعرفة، تراثية كانت أم حداثية، ولا عبرة عندنا لهذا التصنيف الزمني، وإنما العبرة للمعرفة وحدها التي تنبني على التراكم، فلا قيمة للحاضر إلا باعتباره إفرازا للماضي، ولا قيمة لهذا الماضي إلا اذا كان حاضرا في وعينا ووجداننا حضورا يفاعل الراهن تفاعلا منتجا .

وهذا الوعي بهذه الإشكالات المتداخلة هو ما سيلاحظه القارئ في هذه المقالات المتنوعة كالشعرية وتلاشي وثوقية التصنيف الأجناسي، تشظّي الأصل الجامع وتكوثر التشجير المفارق، وجهود الباقلاني في الكشف عن مظاهر، وانسجام الخطاب القصصي القرآني، والانفصال في العربيّة، "الضّمير أُنموذجًا"، وحوارية البلاغة بين التخييل والإقناع لدى حازم القرطاجني، ومفهوم النظم عند المعتزلة، الملامح الفكرية لرؤية المعتزلة للإعجاز في الخطاب القرآني، ومنهج دراسة المجاز في القرآن الكريم. بين فكر البلاغيين والأصوليين، والنفي البلاغي في القرآن الكريم، والأداء الصوتي وأثره في تلقين رسالة الخطاب القرآني، والملامح التّداولية لأسلوب التّأكيد في التّراث النّحوي العربي مقاربة سيّاقيّة من خلال نظرية الأفعال الكلاميّة، والمرجعيات ودورها في تشكيل المصطلح بين مدّ التّراث وجزر الحداثة، وعلم اجتماع الأدب، فروعه ومناهجه، وبلاغة السرد في قصيدة النثر، أدونيس أنموذجا، ودلالة الرمز الصوفي في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر، والشعر العربي بين رؤيا المقاربة والمفارقة في النقد، وسؤال الهوية في الخطاب الديني في رواية "قليل من العيب يكفي"، وحضور الخطاب الايديولوجي في الرواية الجزائرية "الوساوس

الغريبة"، وانفتاحيه بنية النص اللغوية، في رواية "الولي الطاهر يعود إلى مقامه"، ولغة الاختصاص بين الغموض الدلالي وتحديات الترجمة،

وإيمانا منا بانفتاح المعرفة، مع اعترافنا بمفهوم التخصص الذي دأب عليه البحث الأكاديمي في صرامته ، ومع كل ذلك تظل المجلة وفية لخطها الذي ارتضته تخصصا، مقيدا ومفتوحا في الآن ذاته. هذا التخصص التي هي مشروطة بوجوده تحديدا في الدراسات الحجاجية باعتبارها مدار المخبر ، وعليها بُني وبها يستمر، ومنها ينطلق وإليها يعود. وهو وفاء لشرعية عنوانه، ولذلك جاءت دراسات الحجاج في هذه المقاربات كالحجاج في الخطاب النقدي الدرامي التلفزيوني: الإشكاليات والرهانات، وتعليمية النص الحجاجي في المرحلة الثانوية الأسس النظرية والإجراءات التطبيقية، والتمثيل الحجاجي للكناية والتعريض في القرآن الكريم.

وعلى كثرة ما يصلنا من مقالات كثيرة في التخصصات المختلفة، وعلى تفاوت كفاءتها العلمية فإن الفيصل الوحيد هو التحكيم السري، ولم تعد مجلة فصل الخطاب حكرا على أساتذة الجزائر فقد وصل صداها الى المغرب والامارات والسعودية وقطر والعراق وحتى بلغات أخرى وعلى هذا فإن طاقمها يرحب بكل الدراسات الجادة وسوف تبقى وفية لخطها آملين أن يزيدنا الله مددا بلا عدد .....

ولله الفضل والمنة

الأستاذ الدكتور: أحمد بوزيان

الأداء الصوتي وأثره في تلقين رسالة الخطاب القرآني

الطالب: حيمور إسماعيل إشراف الأستاذ الدكتور: بن جامعة الطيب

جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر

من المعلوم أن القرآن الكريم نزل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة الأمين جبريل عليه السلام، وكانت كيفية أخذه هي المشافهة، ومن ثم أعطاها لصحابته، ثم أخذها التابعون من بعدهم، وهكذا حتى وصلت إلينا، فلا يصح أن يؤخذ القرآن الكريم من دون أحكام؛ لأن هنالك من الأحكام ما لا يحكمه إلا المشافهة مثل درجات الترقيق والتفخيم، ودرجات الإمالة، وأنواع المدود، والرّوم والإشمام وغيرها من الأحكام، ولا يخرج الأمر عن نطاق الأداء السليم لهذه الاحكام الذي يعضد دورها في عملية السماع، التلقي، المشافهة، ومن ثم إبراز أثره في عملية التلقين.

الكلمات المفتاحية: الصوت، القرآن الكريم، الخطاب، الأداء، المشافهة، التفخيم، الإمالة، المد، الرّوم، الإشمام، السماع، التلقي، المشافهة، التلقين.

The Phonic Performance and its Impact on the Qur'anic Discourse Message Indoctrination

Abstract

It is clear that the Holy Qur'an was revealed to the Mohammed PBUH by Gabriel, the faithful messenger. It was revealed to Him verbally, and then He transferred it to His companions, and to the ones who came after until it reached us. It is not correct that Qur'an is taken without provisions because there are provisions which do not govern it except verbalizing such as degrees of attenuation, grandiloquence, inclination, types of lengthening, synaeresis, diphthongs and other provisions. It does not come out of the scope of the proper functioning of these provisions which strengthens its role in the hearing process, reception, verbalism, and then to the highlight its impact on the indoctrination process.

Keywords: phonic performance, indoctrination, provisions, grandiloquence, attenuation

---

تاريخ تسليم البحث: 12 ديسمبر2015.

تاريخ قبول البحث: 06أكتوبر 2016.

لا شك أن الأداء مرتبط بعنصر الكلام أو الخطاب عموما؛ فمن حيث كونه "تلوين صوتي غير محدد المسار؛ فهو صاعد ونازل، وأفقي مستقيم، ومن هناك فهو تلوين يتحرك في جميع الاتجاهات"[(1)]؛ بحسب طبيعة المرسل والمتلقي، إلا أن "وجه الإبداع الإيقاعي الراقي ليس كامنا في الزخرف الذي يزين صورة بنية قارة، ولا حتى هو ثاوٍ خلف صيرورة الحركة الدّلالية وحدها؛ إنما هو ثمرة تمازج كل من التشكيل البنائي الفضائي الذي يقيمه تناسج الهندسة الصوتية مع توزيع الوحدات المعجمية، والتشكيل الزمني الحركي المتولد من تواؤم التوترات الصوتية المنتظمة زمنيا مع إيحاءات الصورة الدلالية، كل ذلك داخل نظام يسعى إلى خلق توازن بين المكونات اللغوية والمكونات الجمالية"[(2)]، ولا شك أن هذا داخل كل فعل قرائي لمختلف النصوص الأدبية والشعرية.

أما من حيث كونه مرتبطا بالقرآن الكريم؛ فإن "الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده، متعبدون بتصحيح ألفاظه، وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة المتصلة بالحضرة النبوية الأفصحية العربية التي لا يجوز مخالفتها"[(3)]، وهذا ما يتوافق مع كيفية القراءة الصحيحة وطريقة تلقينها، وهو ما يعرف بعلم التجويد ومراتبه، ولهذا "فإن من معاني الترتيل المطلوب أداؤه هو مراعاة أغراض الكلام الذي في ضوئه تتفاوت نبرات الصوت انخفاضا وارتفاعا وتغيرا في سياق الكلام؛ إذ لا يمكن إعطاء الترتيل حقه؛ ذلك أن هذا التنغيم الحاصل من ارتفاع الصوت وانخفاضه ينتقل بالأذهان إلى المعاني المرادة من الكلام، ويكون له دور كبير في التوازن الصوتي للآذان؛ إذ الطبيعة الإنسانية تأنف الكلام الذي يكون على وتيرة واحدة ونبرة ثابتة، مستقرة، فهي مجبولة على حب التنوع، واختلاف النبر هذا عدا أنه يعطي لونا متوازنا من الإيقاع الصوتي تترنم به الآذان، فهو - في الوقت نفسه - يشد نفس القارئ والسامع معا للحديث، وينبه الأذهان إلى المراد، وبالتالي فإنه يترك أثرا في نفس المستمع والقارئ على حد سواء[(4)].

وكفعل قرائي من الناحية الجمالية والفنية؛ فإن القرآن "يحوي إيقاعا موسيقيا يؤدي وظائف جمالية رفيعة، كما أنّ له نظاما صوتيا وجمالا لغويا ينتظم بِتساوق حركاته وسكناته ومداته وغناته انتظاما رائعا، والجمال الصوتي هو أول ما التقطته الأسماع العربية، ويظهر هذا الجمال في انتظام الحروف، وترتيب الكلمات، وعرض المشاهد المتنوعة، والتجارب

المختلفة، كما لو أنها حية نراها رأي العين"[5]، بيد أن طريقة الأداء بهذا السمت يراد بها "تحقيق المعنى واستبراء غايته، وامتلاخ الشبهة منه، وأخذ الوجوه والمذاهب عن النفس من أجزائه التي يتألف منها، بعد أن تستوفى على جهتها في الكلام استيفاء يقابل ما يمكن أن تشعر به النفس من هذه الأجزاء، حتى لا تصدف عنه، ولا تجد لها مذهبا ولا وجها غير القصد إليه، فيكون من ذلك الإلزام البياني الذي توحيه طبيعة المعنى البليغ"[6].

إذن؛ فإن للأداء قيمة بيانية، وطاقة إيحائية في تجلي أغراض الخطاب، ووضوح رسالته، وخاصة حينما تكون مقرونة بنصاعة الصوت، ومؤثراته الحسية، فإنها دليل إلى التدليل والتذليل، وتكوُّن القناعات الفكرية والاعتقادية، خاصة وأن رسالة القرآن عامة للعالمين، ساعية إلى استغراق المكان والزمان معا، بهز النفوس البشرية، وهزّها هزّا يلفها في رحاب الهداية، وما لعنصر وسيلة التخاطب وطريقته وأدائه من مؤثرات صوتية، إلا "ضرب من التنوع الموسيقي اللافت للانتباه والمشوق لسماع الكلام؛ لأن الكلام إذا جرى على وتيرة واحدة، لم يسلم أن يثير الملل في النّفس"[7]، وسبيل جليل "أردع وأفعل في بلوغ الرسالة، وتوجيه العناية للسلامة"[8]، ومنهج كفيل بتأدية وظائف التدبر وإدراك المضامين، وتحصيل المفاهيم.

ومن منطق التجاوب والتفاعل المتصاعدَين بين التشكيل الصوتي والسياق من جهة، وبينهما وبين الأداء من جهة أخرى، نستطيع أن نجزم بأن "الصوت المفرد لا يمتلك طاقة إيحائية ولا قيمة ثابتة، منعزلا عن السياق، فالسياق هو الذي يمنح التشكيل الصوتي للمفردة والعبارة خصوصيته الدلالية، ويحدد الكيفية التي ينبغي أن تؤدى كيفية أدائه وإلقائه، وفي القرآن يتكرر صوت واحد أو مجموعة من الأصوات يجمعها رابط مشترك في المخرج أو الصفة في البنية الصوتية لآيات متعددة؛ غير أن إيقاعها وإشراقاتها الدلالية تتغاير وتتفاوت وفق السياق والمواقف"[9]، ولا أدلَّ على هذه الصيغ من الدّلالات الصوتية الدالة على أبعاد الخطاب ومكنونات الأفهام.

فهذا التنغيم يعتمده المتحدث في حديثه مع الآخرين، وهو معروف لدى جميع اللغات؛ إذ يحتاج إليه كل إنسان يتحدث مع الآخرين، ولولاه لما استطاع المرء الوقوف على مراد المتكلم، وهذا النّبر يترجم لنا المواقف الانفعالية التي تنطوي تحت نفسه[10]، نظرا لظروف الكلام المحيطة به تأثيرا وتأثرا، وخاصة عندما "تمتاز لغة القرآن بالتلاؤم الصوتي والجمال والانسجام بين أصواتها؛ فالبنى الصوتية للألفاظ والعبارات القرآنية قائمة على الإحكام

والدقة، وحسن الاختيار والوضوح والتكامل، لها إيقاعها المساير للموضوع والمغزى... وبين طبيعة الأحداث والمواقف"[11].

وقد تتنوع وتتعدد القوالب التنغيمية والأدائية؛ إذ لكل جملة من هذه الجمل قالب تنغيمي ونمط أدائي خاص لا تشاركها جملة أخرى فيه، وهذا النمط يجب اتباعه ومراعاته في النطق بكل جملة؛ وإلا عُدَّ المتكلم لاحنا، وكان شأنه شأن من رفع المفعول ونصب الفاعل، فالخروج بالجملة عن قالبها التنغيمي كالخروج عن قواعد النحو، ومن هنا فالتنغيم يمثل خاصية من خصائص هذه اللغة العربية، وسمة من سماتها ومسلكا من مسالكها[12].

ومن جملة ما يمكن اعتماده في مسألة تلقين الخطاب:

أولا: أداء التنغيم:

لابدّ وأن يكون لهذه الخاصية الصوتية بالغ الأثر في التأثير والتلقين، من ذلك ما ورد على سبل شتى من ضروب الأغراض البلاغية المستقاة من كل خطاب؛ "إذ هو قلب ما توجبه الحكمة في الدلالة؛ إذ كان الغرض الذي هو حكمة؛ إنما هو الإبانة عن المعاني التي الحاجة إليها ماسة"[13]، فيكون الأداء من خلاله متسببا في حصول المعاني، وتجعل منه "ظاهرة موقعية تحل مشكلة تطبيق نظام التنغيم في النحو على السياق الاستعمالي، حين تتعارض قواعد النظام مع مطالب السياق"[14].

ومما يمكن الإشارة إليه في رسالة تنغيم السياق الأساليب التالية:

- **الاستفهام:**

لقد ورد في القرآن الكريم عدة خطابات تضمنت أسئلة من رب العزة إلى مخلوقاته، تخرج من الاستفهام إلى أغراض بلاغية كثيرة، على حسب السياق، من ذلك كما ورد في سورة النمل: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (59) أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (60) أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (61) أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (62) أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (63) أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ

قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (64)﴾[15]؛ فبعد أن "ذكر (عز وجل) تفاصيل ما به يعرف، ويتبين أنه هو الإله المعبود، وأن عبادته هي الحق، وأن عبادة ما سواه هي الباطل"[16]، أورد تعالى في مطلع كل آية استفهاما إنكاريا، عبّر عنه الخطاب عن طريق "الأدلة اليقينية والبراهين القطعية الدالة على أن الله هو المتفرد بجميع التصرفات، وأنه المستحق أن يصرف له جميع أنواع العبادات"[17]، بغرض التأكيد والإثبات، غير أن طريقة الأداء "لا تتباين إلا بالمشافهة"[18]؛ إذ تحدث تلك التلوينات الصوتية الفارقة بين وحدات السياق، والتي تميزت بالخواص التالية[19]:

1 - النغمية، وتعني به حركة النغمة في العبارة التي يكونها ارتفاع جرس الصوت الأساسي أو انخفاضه، فالنغمية مكون نغمي، ويتجلى ذلك في الاستفهام المبثوث عبر المد اللازم[20]، المستغرق طوال كميته الصوتية المصحوبة بعنصر الترديد والترجيع، لتزيد من المقطع الصوتي طولا واضح المعالم والدلالة، من أجل الإحساس والتدبر والتأمل في طبيعة السياق، كما أن تصدرها يستولي على بقية المسموعات من المقاطع القصيرة والمغلقة وحتى المفتوحة، باعتبار هذا الاستفهام قد احتوى كمية نغمية واسعة وسع هذا الإنكار، ليزيد الشعور النفسي عند تلقي هذا النغم الاستفهامي تدبرا وخشوعا.

2 – الشّدة، وهي المكون الإيقاعي الحركي، وهي درجة الوضوح السمعي عند نطق لفظة **(ءَاللَّهُ)**، و**(أَمَّنْ)**، وما ينجر عنهما من تطريب صوتي، كما التهويل النفسي، لعظم شأن السائل والمسؤول عنه، وهو الله تبارك وتعالى.

3- الطول والسرعة، وهو المكون الزمني؛ إذ تحدد التنغيم في الاستفهام بأنه الأطول أداء واستغراقا لدرجة تصويته من جهة، وامتيازه بالوضوح السمعي العالي الأكثر بروزا من جهة أخرى.

4- الوقف؛ أي القطع والنطق بأطوال مختلفة؛ إذ تستدعي طبيعة الاستفهام في الآية اتخاذ النفس العميق للأداء ضمانا للطول، وحصولا للمراد، "ويتسنى ذلك من خلال الربط بين ملامح الصوت وسماته الفيزيائية والنطقية والسمعية، وطبيعة الأحداث والمواقف"[21]، ولا أدلَّ على هذا الحدث من نفسه.

5- الحدة؛ أي تلوّنات الكلام الشعورية والانفعالية، عبر عدد الاستفهامات المقررة خمس مرات ﴿**أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ**﴾، لتكون "وسيلة لطيفة للإرشاد والإيمان والعظة والاعتبار؛ إذ هي

تارة تثبت الفكرة في النفوس، وتقرها في الأفئدة إقرارا ينتهي إلى الإيمان، كما ينبثق منها العمل الصالح، المبني على أساس من الإيمان المكين، وهي تارة أخرى ترفع الوهم وتزيله، وتقيم الحجة وتبلجها، وتظهر معايب النفس، فيستدل العاقل بذلك على ما وراءها فيتخلص منها"[22]، ودليل ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان "إذا قرأها يقول: بل الله خير وأبقى، وأجل وأكرم"[23].

وإذن؛ فإن دور التنغيم عبر هذا السياق، "ينم حقيقة عن إلمام عميق بآليات الكلام"[24]، التي تتشكل في الخطاب من مكونات لغوية أو صوتية، أو جمالية، أو دلالية.

- **التعجب:**

للتعجب ميزة صوتية - هو الآخر - ينطوي عليه الخطاب في سياقات متباينة، وتبقى طريقة تلقينه ناشطة في الحس الإدراكي لدى المتلقي، فصيغة التعجب حاملة في تركيبها المعنوي أمرا عجبا، مدروءًا كان أو محببا، ولعل أبرز صيغه(ما أفعلَ)، و(أفعلْ به)، غير أن الهيمنة النسبية للصوت المفتوح أدلُّ وأشمل؛ ذلك أن المتعجّب "يبلّغ رسالته، ويستبين مما في نفسه من مكنون الأسرار، ومكنون الأخبار"[25]، ولا شك أن هذا النوع من الأداء يكتسي منحنى نغميا خاصا بالجملة، فيعين المتلقي على الكشف عن معناها اللغوي والدلالي، كما "يشكل وعياً جمالياً بالكلمة في نطقها وفي استعمالها... ويصبح الجمال الفني قائماً على معايير الانسجام والتلاحم الدقيق في المعنى والتركيب والتناسب بينهما، مع مراعاة الحالة النفسية"[26].

وقد اخترنا لهذا السياق ذلك التعجب الذي تكرر في غير موضع، باثا صورة إعجازية خَلقية، ويتمثل الأمر في بشرى الملائكة لإبراهيم وزوجه بغلام حليم؛ قال تعالى: ﴿**وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ** (71)**قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ** (72) **قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ** (73)﴾[27]؛ حيث يفيد السياق أن التعجب وارد في ثلاث عبارات (أألد)، و(وأنا عجوز)، و(وهذا بعلي شيخا). فردت عليها الملائكة، وقالت لها: "لا تعجبي من أمر الله فإنه إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، فلا تعجبي من هذا وإن كنت عجوزاً عقيماً وبعلك شيخاً كبيراً فإن الله على ما يشاء قدير"[28].

غير أن حيثيات هذا الحوار القائم على التعجب والمساءلة تمس بشكل كبير عنصر الأداء الذي عبر عن الغموض الذي ارتبط بغرابة "البشارة"، فالحالة المعروضة ليست من الحالات المألوفة في الحياة؛ وإنما هي "معجزة" تستدعي غرابة وتعجبا، ويفضي هذا الأمر إلى ملمح صوتي يساعد على فهم فحوى الحوار القائم، من خلال غرض السؤال (أألد) التعجبي،

وما يتوافر عليه من عناصر التنغيم والنبر في الأداء، وتواصل إيقاع التعجب في (وأنا عجوز)، مؤيدا تلك الدلالة، تزيدها طلاقة الصوت وانتهاؤه بمقطع مفتوح في (وهذا بعلي شيخا)، ليوحي طول الصوت وامتداده بحجم هذه "البشارة" وتغلغلها في النفس باستغراب وانفعالية.

ومن براعة التعبير عن هذا التعجب، تتابعه ثلاثا، وبنبرة تصاعدية، ابتدأ الأول فيه بمقاطع قصيرة كلها (أألد)، ثم تداخل المقاطع القصيرة بالمقاطع الطويلة (وأنا عجوز)، لينتهي بالمقاطع الطويلة كليا في (هذا بعلي شيخا)، وهذا التعجب من الناحية المقطعية فيه قيمة إشارية يكشف عما في الخطاب من مواقف نفسية، وقيم توضيحية أفادها الخطاب في السياق الثاني من الرد على هذا التعجب.

- **النداء:**

يعتبر أسلوب النداء بابا من أبواب النداء، كما ورد في عدة سياقات، خاطب الله فيها عباده جميعا، إما بـ "يا أيها الناس"، وإما بـ "يا أيها الذين آمنوا"، وفي هذا المقام، يقول عبد الله بن عباس: إذا سمعتم "يا أيها الذين آمنوا" فاعلموا أنه إما خير تدعون إليه، وإما شر تنهون عنه"، وفي هذا مجال فسيح لبسط أنواع شتى من السياقين؛ الدعوة إلى الخير، والنهي عن فعل الشر. غير أننا نورد – اختصارا – سياقا واحدا، ونستخرج منه قواعد الأداء وفنون التلقين. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (9) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (10) وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (11)**﴾[29]، فبدأ هذا الخطاب بأسلوب النداء لفتا للانتباه، ودعوة لإفهام غاية معينة، فكانت الهمزة (يا) مناسبة لنداء القريب قربا موجبا للهرع إلى الطاعات، وكذا لنداء البعيد بعدا موجبا للإقبال إلى الخيرات، نظرا لما يوجبه من الثواب العظيم، فكانت الأداة ممطولة وممدودة مدا يشير "إلى أن تغير الصوت وتحويله ليناسب أغراض الكلام، هو الرسالة التي توصل المعنى إلى المستمع"[30]، وغالبا ما يكون إيقاع النداء المدي مقصودا لذاته؛ إذ تبلغ الزيادة الصوتية فيه كل مسمع، وتضفي على الغرض دلالات إيحائية منبثقة من مفهوم الصوت ورمزيته.

وبالنقيض يفهم الكلام؛ فإذا كان النداء يستوجب حكمة مد الصوت فيه، قصد بلوغ غاية المتكلم إسماعا وتلقينا، وغاية المتلقي فيه قبولا ورفضا؛ فإن هناك أصوات يفسد سياقها إذ ذاك؛ بفعل اعتوارها الخطاب وإلباسها إياه دلالة لم يكن له بد من تقريرها، رادا الأمر إلى طريقة تلقينه، وبخاصة تلك النبرة المناسبة للسياق، مما يتوافق مع ظاهرة التناسب الصوتي

والأدائي، ومثال ذلك ما نصه "بعض العلماء على ضرورة خفض الصوت في بعض المواطن، من ذلك قراءة: وقالوا اتخذ الله ولدا، وقوله تعالى: وقالت اليهود يد الله مغلولة، لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة، وقوله: وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله، وقوله هذا ربي، إن خرج على صيغة الاستفهام في المثال الأخير أدى إلى معنى جديد، وأمثالها في القرآن كثير، فخفض الصوت عند النطق بها يؤدي للمستمع رسالة صوتية ونغمة موسيقية، وهي أن هذا الكلام؛ إنما خرج ادعاء وليس له أصل أو حقيقة"[31].

ومن خلال هذه السمات الصوتية وأداء النداء لسياق الحال، تضمن الخطاب فوائد جليلة القدر[32]، منها فرضية الجمعة على المؤمنين، وفرضية الخطبتين وحضورهما، ومشروعية النداء للجمعة، والنهي عن البيع والشراء بعد النداء.

ثانيا: أداء النبر:

وبناء على ما رأينا سابقا حول فيزيولوجية النبر، وأنه عموما ظاهرة صوتية "تمتاز بوضوح صوتي... ينتج عنه تلوين وتغيير في المعنى"[33]، وأنه ينطبق على مختلف بنى الكلام ومقطعياته، ويولّد مصاحبة بين أداء النبر وفحوى الخطاب، فإنه سيتم تحديد ذلك في مختلف الخطابات القرآنية مما يلي:

- **نبر السياق:**

لا شك أن للسياق دورا في بناء النص وتفسيره، فيكون مؤسسا للدلالة وكاشفا عنها؛ ذلك أنه جزء مهم من النظام اللغوي، مما يعني أنه تنطبق عليه مختلف الظّواهر الصوتية تحليلا، وعلى هذا سنحاول تطبيق ظاهرة النبر على نظام السياق، للغوص أكثر في دلاليته وإيحائيته، لتتحقق الإبانة، ويتحقق الإبلاغ، وتضمن رسالة الخطاب فاعليتها الحقة.

1/ الأمر: الأمر أحد أساليب الدعوة إلى الله، ومنه جاء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة من فرائض الله على عباده المؤمنين، ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**(94)﴾[34]، فقد دلت التفاسير على أن السياق دال على الوجوب؛ أي بلغ رسالة الله جميع الخلق لتقوم الحجة عليهم، فقد أمرك الله بذلك، ولا تخف غير الله؛ فإن الله كافيك من أذاك كما كفاك المستهزئين، وكانوا خمسة من رؤساء أهل مكة، وهم الوليد بن المغيرة وهو رأسهم، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب بن أسد أبو زمعة. والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن الطلاطلة[35].

غير أن تتبع ظاهرة النبر في هذا السياق تبدو ذات ملمح جلي في صيغتي الأمر (اصدع)، و(أعرض)؛ حيث أن صوتية صيغة الأمر(اِفْعَلْ) و(أَفْعِلْ) تمتاز بوضوح سمعي ومقطعي بارز من خلال المقاطع الطويلة المغلقة، لتوحي بسرعة الأداء، ولا مجال لانفتاح الأمر والسعة وتطبيقه، ومع بروز الجلاء الصوتي لحروف (الصاد، العين، والضاد)، مع ما تمتاز به[36] تواليا من "المعالجة الشديدة"[37]، و"الخلو من الباطن"[38]، و"الغلبة تحت الثقل"[39]؛ فإن وقوع النبر على هذه الحروف أدى غرضا جليلا متناميا في حضرة السياق، متناسبا مع مقتضيات الدعوة، وتقرير بعض حالاتها وموضوعاتها، ولا سيما أن عملية التلقين ها هنا عبر أمين الوحي، والمخاطَب النبي صلى الله عليه وسلم، مما لا يجعل شكا في أن "الوحي" كونه (قولا ثقيلا) حقيق أن يتهيأ له ويرتل، ويتفكر فيما يشتمل عليه[40].

2/ النهي: وعلى غرار الأمر؛ فإن النهي من مقتضيات الخطاب أيضا، وغالبا ما يجتمعان في سياق واحد، وتفرضهما رسالة الخطاب، فيكون الأمر والنهي سمتان بارزتان في طبيعة هذا الخطاب، ومن أمثلة ذلك ما تعرضنا لبسطه سابقا في سورة الضحى وخصوصياتها اللغوية والفنية، غير أننا هنا سنركز على آخر السورة حين انتهت بوصيتين مهمتين، تعتبران منهجا في الحياة، قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ** (9) **وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ** (10)﴾**[41]**، فإن موجب هذا الخطاب "لا تسئ معاملة اليتيم (و) لا يصدر منك كلام للسائل يقتضي رده عن مطلوبه بنهر"[42]، غير أنه خطاب حكيم يفرض طابعه التلقيني، بعد جملة من النعم والآلاء التي منّ الله بها على رسوله صلى الله عليه وسلم، فكان مقتضاه مناسبا للحال.

أما من الناحية الصوتية؛ فلكل أسلوب من الأساليب الكلامية طابع نبري خاص، فالنبر هنا واضح الدلالة في التدرج التنغيمي الصاعد نبرا، المرافق للإخبار والإقرار والتنبيه، عبر أداة النهي (لا) التي امتازت بالوضوح السمعي، خاصة وأنها ذات مقطع طويل مفتوح، وقد توسطت جملة من المقاطع القصيرة، وبها تم انتقال حدة الصوت إلى أدلّ عنصر وأميزه في الخطاب، ليؤدي غرضه كاملا، يساعده في ذلك عنصر الأداء السليم الذي يقوم بـ"تحويل المصحف المكتوب إلى المصحف بالمشافهة، (باعتبارها) المنهج الصارم في أحكام التلقي الشفوي للقرآن"[43]، خاصة مع الطابع التأثيري لتلقي النبي صلى الله عليه وسلم للوحي، فكأن الصياغة المقطعية أداة تلقينية تفضي بكامل المنهيات، وتعبر عن المقتضيات، كما أن الإيقاع المستطيل المتولد عن صيغة النهي الصوتية يوحي بسريان مفعول هذا الخطاب في النفس، وعمق الشعور النفسي المستذكر لما كان عليه في السابق من النقائص التي استوجبت الموجب نعما إلاهية ولطائف الربانية.

3/ التأكيد: وغير بعيد عن سياق الأمر والنهي؛ فإن لأسلوب التوكيد دوره في العملية التلقينية، لما يخضع إليه من قوانين الأداء وإجراءات الفعل القرائي للخطاب أو للنص ككل، ولابدَّ لنا عند تحليل نص معيّن تحليلا صوتيا، أن نحصي جميع عناصره الصوتيّة؛ الفونيمات التركيبيّة وغير التركيبيّة والمقاطع الصوتية، متتبّعينَ هذه العناصر، بما تحدثه من أثر في الجهد النطقي، والوضوح السمعي، والموسيقى اللغوية والدلالة، ومن خلال دراسة هذا التأثير، يمكن لنا أن نتبين أثر النص في متلقيه، وما لهذه العناصر الصوتية من بث لغرض الخطاب.

وبناء على هذا المعطى تتنوع وظيفة النبر التي تبلغ بأثرها السمعي إثارة المتلقي، وإيقاظ نوازعه الداخلية، فتحاكي استجابته الانفعالية لهذا الخطاب تلك التنوعات الإيقاعية التي يفرضها النبر تبعا لمقتضيات الخطاب. قال تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ** (102)﴾[44]؛ حيث اقتضى هذا الخطاب ضرورة لزوم تقوى الله، بالقيام بطاعته، وترك معصيته، وذلك بمداومة وإخلاص يضمنان لهم السّلامة في الدنيا والآخرة. غير أن الوقائع الإيقاعية للنبر في هذه "الوصية الربانية" قائمة على عنصر التنبيه في البداية، من خلال أداة النداء، ثم الصياغة اللغوية في الوحدات الإنشائية المتمثلة في الأمر (اتّقوا)، والنهي(ولا تموتنّ)، والاستثناء(إلاّ). فنسق النطق مبني أساسا على النبر المنجلي في هذه الوحدات بخاصة، وما يعتريها من ظاهرة التشديد الذي ما فتئ يتلبّسها حدة صوتية وتباينا أدائيا، وإذا تمكن النبر من جعل طريقة الإلقاء تكتسي ميزة "تطريزية خاصة بالمقطع؛ فإن مجاله في الكلمة ليس المقطع المنبور وحده؛ بل الكلمة باعتبارها الوحدة المنبورة"[45] التي يهيأ لها الكلام.

وطالما أن عملية التلقين على فنون الأداء؛ فإن النبر ذاته "عامل مهم في إيضاح المعنى وتبيينه"[46]، لينتجا معا سلسلة كلامية ذات تلقين نغمي ومؤدىً جمالي، وخاصة في القرآن الكريم الذي يجانسه عنصر الترتيل، "ولولا ذلك ما صلح القرآن لأداء الأصوات الجميلة، ولا استطاع كبار القراء أن يتغنوا بآياته طبقا للألحان الموسيقية[47] التي يتقنون أداءها"[48].

ومهما يكن من أمر؛ فإن ماهية النبر والتنغيم ودورهما في الأداء، يضطلع إلى علاقة مؤداها إعداد المتلقي لاستقبال تفاصيل الرسالة وتلقينه الخطاب، "فالكلمات تحيا إيقاعيا، وتؤثر في المتلقي سلبا وإيجابا، لذة وألما، بما تصطبغ به من إيحاءات نفسية، وليس فقط بعنصرها الموسيقي الذي يتألف من تواتر الأصوات النغمية بجرسها ونبرها وغنتها"[49].

- **نبر المقاطع:**

أمَا وقد قلنا مقاطع؛ فلغاية يفرضها الأداء، ويستحسنها السياق، وذلك عند شيوع مقاطع على أخرى، حينها يتباين النطق، وتظهر مهارة الملقِّن في بث رسالته وهي تنساب من بين المقاطع وتنغيماتها انسيابا مفضيا إلى الوقوف على جماليات الخطاب وفنون القول.

وفي هذا الصدد، اخترنا . كشاهد . قوله تعالى: ﴿**عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا**(5)﴾[50]، وهذا "الخطاب للزوجتين الكريمتين حفصة وعائشة رضي الله عنهما، كانتا سببا في تحريم النبي صلى الله عليه وسلم على نفسه ما يحبه، فعرض الله عليهما التوبة[51].

فالشاهد في هذه الآية تتابع المقاطع الطويلة في نسق واحد تواليا، يمنح السياق الصوتي خاصية إيقاعية ذات طاقة تأثيرية على المتلقي؛ لأن تتابع الأصوات وفقا للنسق المتقدم ترتاح إليه الأذن وتستحسنه، كما أن وقوع النبر على هذه المقاطع عينها يضفي عليها طابع خاصا من العناية الصوتية، وتصبح كل من المدود (ما، نا، تا، با، دا، حا، با، كا) أوضح في السمع مما كانت عليه إما منفردة مستقلة، أو خاضعة لسياق آخر، ونظرا لأهمية الكلمات المتواجد فيها هذه المقاطع، كان هذا التحذير "للزوجين الكريمتين ما لا يخفى، ثم خوفهما أيضا بحالة تشق على النساء غاية المشقة، وهو الطلاق الذي هو أكبر شيء عليهن"[52].

من هنا ندرك الأثر النفسي الذي يتركه الأداء السليم للنبر في ألفاظ القرآن الكريم، فالنبر عدا عن كونه يقف على صواب المعاني، نجده ينقل القارئ نفسه إلى اليقظة والتنبه المستمرين، والناشئين عن ارتفاع الصوت وانخفاضه والتراوح بينهما، والذي يعطي بدوره حياة النفوس وتجددا، ويزيل عنها أثر الملل والسآمة[53]، ويحل "مقام المرتكزات والمحطات النفسية معنى وموسيقيا"[54]، باعتبار أهمية المؤكد عنه ماهيةً وكنهًا، كما يظهر أثره الفني بشكل أوضح وأكثر، حين الترتيل وجودة التدبر والإمعان، "وذلك يظهر بسهولته على اللسان وحسنه في الأسماع وتقبله في الطباع، فإذا انضاف إلى ذلك حسن البيان في صحة البرهان في أعلى الطبقات؛ ظهر الإعجاز للجيد الطباع البصير بجواهر الكلام"[55].

ثالثا: أداء الفواصل:

إن الفواصل القرآنية على تماثلها واختلافها في الوزن وحرف الروي لها أثرها الخاص في النفس البشرية؛ إذ يجلها القرآن الكريم ليريح السامع، ويميل مشاعره لتقبل مفاهيم القرآن الكريم من خلال هذه النغمة الموسيقية العذبة، التي تدل على التناسق والتلاؤم بين الفواصل؛ فهو بذلك ضرب من التنوع الموسيقي اللافت للانتباه والمشوق لسماع الكلام؛ لأن الكلام إذا

جرى على وتيرة واحدة، لم يسلم أن يثير الملل في النفس[56]، فهل للفاصلة دور معنوي زيادة على دورها الموسيقي؟ .

إن الفاصلة القرآنية حين ترد تأتي لنشر جو من الموسيقى، محملاً بالمعنى الذي يكمل مضمون الآية التي ختمت بها، وتبقى جزءاً أصيلاً فيها، وإن كانت عنصراً متميزاً يلحظه المتأمل في الآية، فالفاصلة القرآنية ترد في النص القرآني وهي تحمل شحنتين من الواقع الموسيقي، وشحنة من المعنى المتمم للآية[57].

والفواصل على وجهين: أحدهما على الحروف المتجانسة، والآخر على الحروف المتقاربة، فالحروف المتجانسة كقوله تعالى: ﴿**طه**(1) **مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى**(2)﴾ الآيات، وكقوله: ﴿**وَالطُّورِ**(1) **وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ**(2)﴾ الآيات، وأما الحروف المتقاربة: فكالميم منا لنون، كقوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ**(3) **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**(4)﴾، وكالدال مع الباء، نحو: ﴿**ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ**(1)﴾ ثم قال: ﴿...**هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ** (2)﴾: وإنما حسُن في الفواصل الحروف المتقاربة؛ لأنه لم يكتنف الكلام من البيان، ما يدل على المراد في تمييز الفواصل والمقاطع، لما فيه من البلاغة وحسن العبارة...والفائدة في الفواصل دلالتها على المقاطع، وتحسينها الكلام بالتشاكل، وإبداؤها في الآي بالنظائر[58].

ولا يوجد حرف في كتاب الله إلا وهو في موضعه الذي استدعاه السياق، وتطلبه المعنى... فلا ينبغي[59] أن يطلق على أي حرف أو كلمة في القرآن أنه مقحم أو زيادة أو ما شاكلهما تأدبا مع كتاب الله تعالى وتنزيها له[60]. فذلك شأن الإيقاع في القرآن، ليست الفاصلة فيه كقافية الشعر تقاس بالتفعيلات والأوزان، وتضبط بالحركات والسكنات، ولا النظم فيه يعتمد على الحشو الطويل، أو الزيادة والتكرار، أو الحذف والنقصان، ولا الألفاظ تحشد حشدا، وتلصق إلصاقا، ويلتمس فيها الإبهام والإغراب؛ بل الفاصلة طليقة من كل قيد، والنظم بنجوة من كل صنعة، والألفاظ بمعزل عن كل تعقيد، إن هو الأسلوب يؤدي غرضه كاملا غير منقوص، يلين أو يشتد، ويهدأ أو يهيج، ينساب انسيابا كالماء إذ يسقي الغراس، أو يعصف عصفا كأنه صرصر عاتية تبهر الأنفاس[61].

وإذا كانت الفواصل عبارة عن "حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني"[62]، وهي ذات "قيمة صوتية تراعى في كثير من آيات القرآن، وربما أدت رعايتها إلى تقديم عنصر أو تأخيره"[63]؛ فإنه مما يثبت أثر الفاصلة في الخطاب القرآني مضموناً وشكلاً، ورودها على

أشكال مختلفة تبعاً لمقتضيات الأحوال النفسية للمخاطبين ومواقفهم واختلاف المناسبات والموضوعات، ولاعتبارات بيانية تسهم في تصوير المشهد أو تجسيد المعنى.

ومما يلحظ أيضاً أن القرآن قد يستعمل لفظة دون غيرها من أجل تحقيق التلاؤم الموسيقي بين الفاصلة وما قبلها، من ذلك ما ورد في وصف المعرضين عن الحق بقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنفِرَةٌ(50) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ(51)﴾(64)، فلفظة قسورة (بثت في الآية موسيقى زادت التعبير قوة والمعنى تأثيراً، وهي تتلاءم موسيقياً مع لفظة(مستنفرة)(65).

وغاية الأمر أن للفواصل القرآنية أثراً كبيراً في إعطاء آيات القرآن الكريم جرساً موسيقياً مؤثراً في إمالة النفس البشرية، فقد عني القرآن الكريم بها عناية كبيرة، فوردت بأشكال مختلفة، وملائمة لما تقدمها من السياق وذلك؛ لجذب انتباه السامع إلى الكلام، ومساعدته على فهم معانيه؛ لأن الكلام إذا ورد على نمط واحد لم يسلم من التكلف وإثارة الملل، وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمةٌ، حتى أن القرآن قد يعدل عن نظم الكلام بسبب الفاصلة، ويكون ذلك إما بزيادة حرف أو الجمع بين المجرورات أو حذف حرف، وغير ذلك، فيكون لهذا العدول أثره في نسق الكلام واعتدال مقاطعه، فيجعل وقع الكلام حسناً في النفوس، مؤثراً فيها تأثيراً كبيراً (66).

مراجع البحث وإحالاته:

1) ملامح الدلالة الصوتية في المستويات اللسانية، د/ مكي درار ، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، الجزائر، 1433هـ/2012م، ص186.

2) البنية الإيقاعية في الخطاب القرآني، زواخ نعيمة، مؤسسة كنوز الحكمة، 1433هـ/2012م، ص26.

3) الجامع في تجويد قراءة القرآن الكريم، كامل المسيري ، دار الإيمان، الإسكندرية، 2005م، ص15.

4) التعبير القرآني والدلالة النفسية، د عبد الله محمد الجيوسي ، دار الغوثاني للدراسات الإسلامية، دمشق، ط1، 1426هـ/2006م، ص151.

5) جماليات الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم، محمد الصغير ميسة ، رسالة ماجستير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 1433هـ/2012م، ص7.

6) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، للرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، 1425هـ/2005م، ص 184.

7) الجرس والإيقاع في الفاصلة القرآنية، أنسام خضير خليل، ص228.

8) الصوت اللغوي ودلالته في القرآن الكريم، محمد فريد عبد الله ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 2008 ، ص100.

9) تجليات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني، فخرية غريب قادر ، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011، ص20.

10) التعبير القرآني والدلالة النفسية، د عبد الله محمد الجيوسي، دار الغوثاني، دمشق، 1426هـ/2006م، ص151، 152.

11) تجليات الدلالة الإيحائية في الخطاب القرآني، فخرية غريب قادر، ص20.

12) أبحاث في علم أصوات اللغة العربية، أحمد عبد التواب الفيومي ، دار السعادة، مصر، ط1، 1412هـ/1991م، ص186.

13) ثلاث رسائل في الإعجاز، دار المعارف، مصر، ط3، دت، ص 97.

14) اللغة معناها ومبناها، د/ تمام حسان ، دار الثقافة، المغرب، 1994. ص310

15) النمل، 59-64.

16) تيسير الكريم الرحمان، للسعدي ، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط31، 1423هـ/2002م، ص439.

17) نفسه، ص440.

18) ملامح الدلالة الصوتية، د/ مكي درار، 189.

19) ينظر التنغيم ودلالته في السياق، ليلى سهل، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع7، جوان 2010.

20) هو أن يأتي بعد حرف المد سكون أصلي في الكلمة، بشرط أن يكون مشددا، وهذا النوع من المد يقع في كلمة تزيد حروفها على ثلاثة أحرف، والحرف المشدد هو في الأصل حرفان؛ الأول فيهما ساكن سمونا أصليا، وهو سبب المد، والحرف الآخر متحرك. ينظر الجامع في تجويد قراءة القرآن، كامل المسيري، ص204.

21) علم اللسانيات الحديثة، نظم التحكم وقواعد البيانات، د/ عبد القادر عبد الجليل ، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2002م، ص525.

22) الصورة النفسية في القرآن الكريم، د/ محمد سليم الهياجنة ، علام الكتب الحديث، الأردن، ط1، 1428هـ/2008م، ص147.

23) الكشاف، للزمخشري، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1418هـ/1998م، 464/4.

24) علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، د منقور عبد الجليل، ص207.

25) السبع المعلقات، د/ عبد المالك مرتاض ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2008 ، ص222.

26) في جمالية الكلمة دراسة جمالية بلاغية نقدية، د حسين جمعة ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002 ، ص41.

27) هود، 61-63.

28) تفسير ابن كثير، مؤسسة قرطبة، ط1، 1421هـ/200م، 453/7.

29) الجمعة، 9-11.

30) التعبير القرآني والدلالة النفسية، د عبد الله محمد الجيوسي، ص160.

31) نفسه.

32) للاستزادة ينظر تيسير الكريم الرحمان، للسعدي، ص634.

33) المقررات الصوتية، د/ مكي درار، د/ سعاد بسناسي ، منشورات دار الأديب، وهران، 2007.

34) الحجر، 94 ، ص157.

35) ينظر على سبيل المثال تفسير ابن كثير، 283/8، 284.

36) ينظر الصوت اللغوي ودلالته في القرآن الكريم، محمد فريد عبد الله، ص17.

37) وهو ما يفسره إعراض المشركين وتصديهم للدعوة، وعناد قلوبهم، حين "تمادوا في الشر، وأكثروا بالنبي صلى الله عليه وسلم الاستهزاء". ينظر تفسير الطبري، 147/14.

38) ويعضده معنى الصدع، ويقال صدع بالحجة إذا تكلم بها جهارا". ينظر الكشاف للزمخشري، 419/3.

39) فيه إشارة إلى ما لاقاه النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته من محاولة قتله، وتلطيخه بسلا الجزور، وكسر رباعيته في الطائف، وجرحه بأحد... وغيرها، إلا أنهم﴿ **يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (8)**﴾. الصف، 8.

40) تيسير الكريم الرحمان، للسعدي، ص654.

41) الضحى، 9، 10.

42) تفسير السعدي، ص678.

43) ظاهرة التنغيم في التراث العربي، د/ عليان محمد الحازمي ، جامعة أم القرى، ص4.

44) آل عمران، 102.

45) علم الأصوات، برتيلمالبرج، تر/ د عبد الصبور شاهين ، مكتبة الشباب، 1988 ، ص198.

46) الفنولوجيا وعلاقتها بالنظم في للقرآن الكريم، محمد رزق شعير ، مكتبة الآداب، ط1، 1429هـ/ 2000م، ص89.

47) وهي ما تعرف في فنون التجويد بالمقامات السبع، ومنها (الراست، الحجاز، السيكاه، الصبا، الكرد، النهوند، وجاهركاه).

48) علم الأصوات، برتيلمالبرج، تر/ د عبد الصبور شاهين، ص200.

49) البنية الإيقاعية في الخطاب القرآني، زواخ نعيمة، ص42.

50) التحريم، 5.

51) تيسير الكريم الرحمان، للسعدي، ص640.

52) نفسه.

53) التعبير القرآني والدلالة النفسية، د عبد الله محمد الجيوسي، ص160، 161.

54) الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي ، دار عمار للنشر والتوزيع، عما، ط2، 1421هـ/2000م، ص159.

55) ثلاث رسائل في الإعجاز، ص 96.

56) الجرس والإيقاع في الفاصلة القرآنية، أنسام خضير خليل، ص228، مجلة كلية الآداب، العدد 98.

57) نفسه.

58) ثلاث رسائل في الإعجاز، ص 98، 99.

59) والأصوب أن يقال: ينبغي أن لا يطلق... .

60) تأملات في سورة إبراهيم، تفسير بلاغي تطبيقي، د عابد أحمد صابر الرويني، وحدة البحوث والدراسات، دبي، ط1، 1434هـ/2013م، ص121، 122.

61) مباحث في علوم القرآن، د صبحي الصالح ، دار العلم للملايين، بيروت، ط10، 1977 ، ص340.

62) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تح/ضبطه وصححه وخرج آياته محمد سالم هاشم ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2007م، ص454.

63) البيان في روائع القرآن، تمام حسان ، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 1993، ص2.

64) المدثر، 50، 51.

65) الطبيعة في القرآن الكريم، د كاصد ياسر الزيدي ، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980 ، ص467.

66) الجرس والإيقاع في الفاصلة القرآنية، أنسام خضير خليل، ص237.